توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين

تأليف العلامة

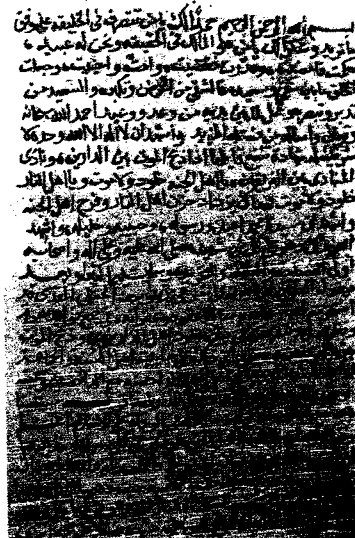
مرعي الكرمي الحنبلي

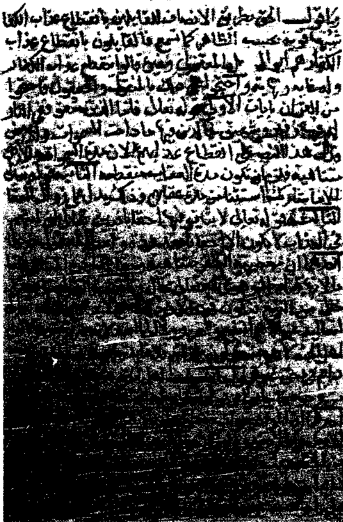
تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

دار اللباب





مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)

كتاب توقيف الفريقين على خلود
اهل الدارين للشيخ الامام العالم
العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي
نفعنا الله به
امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
حمدا لك يا من تصرف في الخليقة على وفق ما تريد وشكرا
لك يا من هو المالك في الحقيقة ونحن له عبيد حكمت
فامضيت وقدرت فقضيت وامت واحييت وجعلت
الخلق ما بين شقي وسعيد فالشقي من اعرض وتكبر والسعيد
من تدبر فاستبصر وعمل لما بين يديه من وعد ووعيد تدبر ن
احمده سبحانه وتعالى واساله من فضله المزيد واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها اذا ذبح الموت
بين الدارين ونادى المنادي بين الفريقين يا اهل الجنة خلود

المكتبة الظاهرية (ظ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ للهِ خيرِ الأسماء، خافِضِ الأرضِ ورافِعِ السَّماء، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتَمِ الأنبياءِ وسيدِ الأصفياء، وعلى آلِه وأصحابِه ومَن تبعهم من العُلماءِ والأولياء.

وبعدُ:

فهذه رسالةٌ موجَزةٌ لطيفةٌ في الردِّ على شُبهاتِ القائلينَ أنْ لا خلودَ في الجنة والنَّارِ لأهلِهما، وقال المؤلف في خطبتها: قد استخَرتُ الله سبحانه سائلاً عفوَه وغفرانَه في جمعِ فوائدَ مفرَّقة، ونظمِ فرائدَ متفرِّقة، في بيان خلودِ أهل الدارَينِ، وذبحِ الموتِ بينَ الفريقين، مُعتمِداً في ذلك على ما بيَّنهُ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ الأئمَّةِ المحققِين، مُبيِّناً لحججِ أهلِ البدَعِ الداحضَةِ معَ الداحضِين، وسميتُه:

«توقيف الفريقَين على خلودِ أهل الدارَين»

وقد استَهَلَّ كلامَهُ فيها بقولِ العلَّامة سعدِ الدِّينِ التَّفتازانيِّ عن المذهبِ المذكور: وهو قولٌ باطلٌ مخالفٌ للكتابِ والسنَّةِ والإجماعِ، ليسَ على شبهةٍ فضلاً عن حُجةٍ.

وقولُ التَّفتازانيِّ هذا قريبٌ من نَفْسِ المؤمِنِ الفِطريِّ الذي رَسَخَ في قلبِه ووجدانِه ـ بما عَلِمَه وسَمِعَه من الآياتِ القرآنيَّةِ والأحاديثِ النَّبويَّة ـ أنَّ الخلودَ في الدَّارَينِ حقٌّ لا رَيبَ فيه ولا شكَّ، إلى درجةٍ لا يَقبلُ معها قولاً سِوَى ذلك.

لكنَّ المؤلِّفَ رحمه الله لم يَقبل بهذه البَدَاهةِ، بل قابَلَ ذلك بطريقةِ العالِمِ المطَّلعِ المنصِف، فقال معقِّباً على كلامِ السَّعْد: وأقولُ: الحقُّ بطريقِ الإنصافِ: أنَّ للقائلينَ بانقطاعِ عذابِ الكفَّارِ شُبَهاً قويةً بحسبِ الظاهرِ...

ثم أَخَذَ يَسْردُ حُجَجَهم مِن المنقولِ ـ وهي ثلاثُ آياتٍ من كتابِ الله ـ ومِن المعقولِ وهما وجهانِ ذكَرهما أصحابُ هذه الشُّبهة.

ثم أجابَ عن جميعِ هذه الشُّبَه بالأدلةِ الشرعيةِ من آياتٍ قرآنيَّةٍ وأحاديثَ نبويَّة، مؤيِّداً ذلك بالحُجَجِ العقليَّةِ القامِعَة، وأقوالِ الأئمَّةِ الجامعةِ المانعة، دونَ أن يَدَع ـ مع ذلك ـ التَّعريجَ على بعضِ الفوائدِ والتنبيهاتِ المتعلِّقةِ بالموضوع.

وقد تمَّ تحقيقُ هذه الرِّسالةِ اعتماداً على نسختَين خطِّيتينِ هما: نسخةُ الظَّاهرية ورُمز لها بـ(ظ)، ونسخةُ الجامعةِ الإسلاميَّة ورُمز لها بـ(ج).

والحمدُ لله ربِّ العالمين

المحقق

***

بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ ثقَتي

حمداً لكَ يا مَن تتصرَّفُ في الخليقةِ على وَفقِ ما تريد، وشكراً لك يا مَن هو المالكُ في الحقيقةِ ونحنُ له عبيد، حكَمتَ فأمضَيت، وقدَّرتَ فقضَيت، وأمَتَّ وأحييت، وجعلتَ الخلقَ ما بين شقيٍّ وسعيد، فالشقيُّ مَن أعرَضَ وتكبَّرَ، والسعيدُ مَن تدبَّرَ فاستبصَرَ، وعمِلَ لِمَا بين يدَيهِ من وعدٍ ووعيد، أحمدُ اللهَ سبحانه وتعالى، وأسألُه من فضلِهِ المزيد.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً تنفَعُ قائلَها إذا ذُبِحَ الموتُ بين الدارَينِ ونادَى المنادي بين الفريقينِ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ ويا أهلَ النارِ خلودٌ ولا موتَ، فهناكَ يزدادُ حزنُ أهلِ النارِ وفرحُ أهلِ التوحيد[1].

وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه وحبيبُه وخليلُه، وأُشهِدُ اللهَ بذلك وهو على كلِّ شيءٍ شهيد، صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه أولي الفصاحةِ والبلاغةِ والتجريدِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

فيقولُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مرعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ: قد استخَرتُ الله سبحانه سائلاً عفوَه وغفرانَه في جمعِ فوائدَ مفرَّقة، ونظمِ فرائدَ

---

(١) في (ج): «الجنة».

متفرِّقة، في بيان خلودِ أهل الدارَين، وذبحِ الموتِ بينَ الفريقين، مُعتمِداً في ذلك على[1] ما بيَّنهُ أهلُ السنةِ والجماعةِ الأئمة المحققِين، مُبيِّناً لحججِ أهلِ البدَعِ الداحضَةِ معَ الداحضِين، وسميتُه:

«توقيفَ الفريقَين على خلودِ أهل الدارَين»

فأقولُ مستعيناً باللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ، سائلاً له في الوفاةِ على الإسلامِ:

اعلَم وفقَكَ الله تعالى: أن مذهبَ أهلِ الحقِّ هو الحقُّ في كلِّ مسألةٍ، ومذهبُهم أن الجنةَ والنارَ موجودتان الآنَ خلافاً للمعتزلةِ، وأنهما باقيتانِ لا يفنَيانِ ولا يفنى أهلُهما خلافاً للجهميةِ، حيثُ ذهبوا إلى أنهما يفنيانِ ويفنى أهلُهما.

قالَ السعدُ التفتازانيُّ: وهو قولٌ باطلٌ مخالفٌ للكتابِ والسنَّةِ والإجماعِ، ليسَ على شبهةٍ فضلاً عن حجةٍ، انتهى.

* * *

[أدلةُ القائلينَ بانقطاعِ عذابِ الكفَّارِ]

وأقولُ: الحقُّ بطريقِ الإنصافِ أنَّ[2] للقائلينَ بانقطاعِ عذابِ الكفَّارِ شُبَهاً قويةً بحسبِ الظاهرِ كما سنسمَعُ، فالقائلونَ بانقطاعِ عذابِ الكفَّارِ هم: أبو الهذيلِ المعتزليُّ وغيرُه، قالوا: ينقطِعُ عذابُ الكفارِ؛ أي: وله غايةٌ ونهايةٌ، واحتجُّوا على ذلكَ بالمنقولِ والمعقولِ، فاحتجُّوا من القرآن بآياتٍ:

الأُولى: قولُه تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧] فدلَّ هذا النصُّ على انقطاعِ عذابهم؛

---

(١) «على» من (ج).

(٢) «أن» من (ظ).

لأن مـدةَ السـماواتِ والأرضِ متناهيـةٌ، فلزمَ أن تكونَ مـدةُ العقابِ منقطعةً.

الثانيةُ: قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] استثناءٌ من مدةِ عقابهم، وذلكَ يدلُّ على زوالِ العذابِ.

الثالثةُ: قولُه تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ [النبأ: ٢٣] فبيَّنَ تعالى أن لُبثَهم في العذابِ لا يكونُ إلا أحقاباً معدودةً.

وأما المعقولُ فوجهانِ:

أحدُهما: أن معصيةَ الكافرِ متناهيةٌ، ومقابلةُ الجُرم المتناهي بعقابِ ما لا نهايةَ لهُ ظلمٌ، وهو على اللهِ تعالى محالٌ.

وثانِيهما: أنَّ العقابَ ضررٌ خالٍ من النفعِ فيكون قبيحاً؛ لأن ذلكَ النفعَ لا يرجِعُ إلى اللهِ تعالى لتعاليهِ عن النفعِ والضرِّ، ولا إلى العبدِ لأنه ضررٌ محضٌ، ولا إلى أهلِ الجنة لأنهم مشغولونَ بلذَّاتهم، فلا فائدةَ لهم في الالتذاذِ بعقابٍ دائمٍ في حقِّ غيرِهم.

* * *

[جوابُ أهلِ الحقِّ عن الشُّبهِ السَّابقة]

وأجابَ أهلِ الحقِّ عن هذه الأدلةِ المذكورَةِ من وجوهٍ، فأجابوا عَن قولِه تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ بوجهَين:

أحدُهما: أن المرادَ: سماواتُ الآخرَةِ وأرضُها، بدليلِ قولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقولِه تعالى: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وكلاهما دائمٌ، فوجبَ أن يكونَ خلودُهم وعذابُهم دائماً بدوامِهما، ونحوُ ذلكَ للضحَّاكِ(١).

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٠٠) ولفظه: ما دامَت =

وثانيهما: أنه تعالى خاطبَ العربَ على ما جرَى به عُرفُ التخاطُبِ بينَهم؛ لأن التأبيدَ والخلودَ له عندَهم ألفاظٌ؛ كقولهم: هو باقٍ ما أينعَ الثمرُ وأورَقَ الشجرُ، وما دجَى الليلُ، وسأَلَ سائلٌ، وطرقَ طارقٌ[1]، وما دامَتِ السماواتُ والأرضُ.

وأجابوا عن قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ بوجوهٍ:

أحدُها: لابنِ قُتيبَةَ وابن الأنبارِيِّ والفقهاءِ كالشافعيِّ وأحمدَ وإسحاقَ والأوزاعيِّ: أن هذا استثناءٌ استثناهُ اللهُ تعالى، ولا نعقِلُه البتَّةَ، فعلى هذا فهو من المتشابِهِ[2].

وثانيها: أنه ليسَ باستثناءٍ، وإنما ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: سِوَى؛ كما تقول: لي عليكَ ألفُ درهمٍ إلا ألفين التي لي عليكَ، أي: سوى الألفَينِ، والمعنى:

= سماواتُ الجنَّةِ والنَّارِ وأرضُهما، وكلُّ ما علاك فأظلّك فهو سماء، وكلُّ ما استقرت عليه قدمك فهو أرض.

(١) في (ظ): «الطارق».

(٢) في نسبة هذا القول لابن قتيبة نظر، فقد ذكر ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص٥٣) ثلاثة وجوه لا يشبه أي منها هذا القول من قريب ولا بعيد، وهذه الوجوه الثلاثة أحدها موافق لما سيأتي في الوجه الثاني للمؤلف، وثانيها موافق لما سيأتي في الوجه السادس، وثالثها: (أن يجعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد ـ على ما تعرف العرب وتستعمل ـ وإن كانتا قد تتغيّران، وتستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا لا في الجنة، فكأنه قال: خالدين في الجنة وخالدين في النار دوام السماء والأرض، إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك). وذكر عنه الرازي وجها آخر كما سيأتي.
أما ابن الأنباري فقد نقل عنه الفخر الرازي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٢) خلاف هذا القول أيضاً، فذكر عنه وعن ابن قتيبة والفراء أنهم قالوا: هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله البتة، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، مع أن عزيمتك تكون على ضربه، فكذا هاهنا، قال: وطولوا في تقرير هذا الجواب، وفي ضرب الأمثلة فيه، وحاصله ما ذكرناه.

خالدين فيها قَدْرَ مدةِ دوامِ السماواتِ والأرضِ في الدنيا سوى ما شاءَ ربُّكَ من الزيادةِ عليها مما لا مُنتهَى له.

وثالثُها: أن المرادَ من هذا الاستثناءِ زمانُ وقوفِهم في الموقفِ، فكأنهُ قالَ: ففي النارِ ما دامَت السماواتُ والأرضُ إلا وقتَ وقوفِهم للمحاسبةِ، فإنهم في ذلك الوقتِ لا يكونونَ في النارِ.

ورابعها: فإن هذا الاستثناءَ راجعٌ إلى قولِ الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ لأن ذكرَ الزفيرِ والشهيقِ مع الخلود يقتَضِي دوامَ ذلكَ فاستثناهُ تعالى من ذلكَ.

وخامسُها: أن المرادَ بالاستثناءِ إنما هو انتقالُهم من النارِ إلى البردِ والزمهَريرِ وسائرِ أنواعِ العذابِ، فقد ذكَرَ المفسِّرونَ أن الزمهريرَ هو البردُ الشديدُ المفرِطُ، وأنه يقَعُ به العذابُ لأهلِ النارِ كما يقعُ بالنارِ، وأنهم يُخرجُونَ من النارِ إلى الزمهريرِ فيتبادَرونَ من شدةِ الزمهَريرِ إلى النارِ.

وسادسُها: أن الاستثناءَ راجعٌ إلى خروجِ أهلِ التوحيدِ من النارِ، وهو الظاهرُ من هذهِ الأقوالِ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ وقتادةَ وجماعةٍ[1]، ومالَ إليهِ الإمام فخرُ الدينِ[2].

قالَ الثعلبيُّ: وعلى هذا القولِ فالاستثناءُ من غيرِ جنسِه[3].

---

(١) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٩)، وذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٥٠٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٢/ ٤٥٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٦٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢١٧)، وهو كما ذكروا من رواية الضحاك عن ابن عباس، ولم يسمع منه.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٨/ ٤٥٣)، والوجوه السابقة منقولة منه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٨٩).

فإن قيلَ: لو صحَّ هذا القولُ لقالَ تعالى: إلا مَن شاءَ ربُّكَ؛ لأن (مَن) للعاقلِ، بخلافِ (ما) فإنها لغيرِه، والآيةُ بـ(ما) لا بـ(مَن).

قلنا: قد صرَّحَ أهلُ التحقيقِ أن (ما) أيضاً تكونُ للعالِـمِ كما في قولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥] و﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣] فتأمَّل.

وأجابوا عن قولِه تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ بوجوهٍ:

أحدُها: أنها منسوخةٌ بقولِه تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

وثانيها: لا نسلِّمُ أن الوقوفَ على ﴿أَحْقَابًا﴾ بل المعنى: لابثين فيها أحقاباً لا يذوقونَ في تلك الأحقابِ إلا الجحيمَ والغسَّاقَ من أنواعِ العذابِ.

وثالثها: أن المعنى: يَلبثون فيها أحقاباً كلَّما مضَى حُقْبٌ تبعَهُ حُقْبٌ، وإنما يدلُّ على التوقيتِ لو نصَّ على العددِ: عشرة أحقابٍ أو خمسة، أو غير ذلكَ.

ورابعها: أن المرادَ: أحقاباً لا انقضاءَ لها، وحذِفَ للعلمِ بمآلِ أهلِ النارِ على ما دلَّت عليهِ الآياتُ القرآنيةُ والأحاديثُ النبويةُ.

روى هنَّادٌ عن أبي هرَيرةَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قالَ: الحُقبُ ثمانون سنةً، السنةُ ثلاثُ مئةٍ وستونَ يوماً، كلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ[1].

قلتُ: لَعَمْري إنَّ لَبْثَ الحُقبِ الواحِدِ من أعظمِ المصائبِ فكيفَ بأحقابٍ لا انقضاءَ لها ولا انقطاعَ؟ نعوذُ باللهِ من ذلكَ.

وأمَّا استدلالهم بالمعقولِ:

فالوجهُ الأولُ وهو[2] قولهم: إن مقابلَةَ الجُرمِ المتناهي بعقابِ ما لا نهايةَ له

---

(١) رواه هناد في «الزهد» (٢١٩).

(٢) في (ج): «أن» مكان: «وهو».

ظلمٌ، وهو على اللهِ محالٌ، فهذا مبنيٌّ على التحسينِ والتقبيحِ العقليِّ، ونحن معشرَ أهلِ السنَّةِ لا نقولُ بهِ، لأن الشرعَ هو الذي يحسِّنُ ويقبِّحُ.

وأيضاً: فاللهُ سبحانه وتعالى يفعَلُ في خلقِه ما يشاءُ؛ لأنه تعالى لا حَجْرَ عليهِ فيما يفعلُه، فأفعالُه بالنسبةِ إليه كلُّها حسنةٌ جميلةٌ، وإنما يكونُ الشيءُ قبيحاً بالنسبةِ إلينا.

وأيضاً: فلا نسلِّمُ أن معصيةَ الكافرِ متناهيةٌ، بل غيرُ متناهيةٍ؛ إذ بموته على الكفرِ فالكفرُ لازمٌ له أبداً، فتأمَّل(١).

وأما الوجهُ الثاني وهو قولهُم: لا يحصُلُ بعذابِ أهل النارِ نفعٌ لأهل الجنةِ؛ لأنهم مشغولونَ بلذاتِهم.

فلِمَ لا يعودُ النفعُ لأهل الجنةِ، ويحصُلُ لهم الالتذاذُ بعذابِ الذين يعانِدُونهم ويعادُونهم في دارِ الدُّنيا، ويسفِكُون دماءَهم على دينِ اللهِ تعالى الذي أدخلَهم جناتِ النعيمِ، وأدخَلَ أعداءهم دارَ الجحيمِ.

فإن قلتَ: هذا مسلَّمٌ فيمَن حصلَ منهُ سفكُ دمٍ للمسلمينَ، وأما غيرُه فما جرمُه؟

قلتُ: قد حصلَت منهُ المعاندَةُ لنا حيثُ دُعيَ للإسلامِ فأبى، ورَدَّ قولنا الحقَّ، والمعاندَةُ توجِبُ التشفِّيَ.

فثبتَ بهذِه الأجوبةِ عن شُبَهِهم أن جميعَ ما استدلُّوا به غيرُ مُعِينٍ لهم، بل يرِدُ عليهم مع ما وردَ من الأحاديثِ الصحيحةِ والآياتِ الصريحةِ.

قلتُ: ومن أصرَحِ الآياتِ في الردِّ عليهم قولُ اللهِ تعالى في حقِّ أهلِ النارِ:

---

(١) من قوله: «وأيضا فلا نسلم...» إلى هنا سقط من (ج).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] فإن الأبدَ عبارةٌ عن استغراقِ المستقبَلِ الذي لا انقطاعَ لهُ، فتأمَّل.

وأما الأحاديثُ فهي كثيرةٌ في كتبِ الأئمةِ، وسنذكُرُ شيئاً منها:

روى الإمامُ الطبرانيُّ وأبو نُعَيمٍ وابنُ مردَويهِ عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو قيلَ لأهلِ النارِ: إنكم ماكثُونَ في النارِ بعددِ كلِّ حصاةٍ في الدُّنيا، لفرِحوا بها، ولو قيلَ لأهلِ الجنةِ: إنكم ماكثُونَ عددَ كلِّ حصاةٍ، لحزنوا، ولكن جعِلَ لهم الأبدُ»(١).

ورَوَى الطبرانيُّ والحاكِمُ ـ وصحَّحهُ ـ عن معاذِ بن جبلٍ: أن رسولَ الله ﷺ بعثَه إلى اليمنِ، فلما قدِمَ عليهم قالَ: يا أيها الناسُ! إني رسولُ رسولِ اللهِ إليكُم يخبِرُكم أن المردَّ إلى اللهِ، إلى جنةٍ أو نارٍ، خلودٌ بلا موتٍ، وإقامةٌ بلا ظعنٍ في أجسادٍ لا تموتُ(٢).

ورَوَى البخاريُّ عن أبي هرَيرَة رضيَ الله عنه قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «يُقالُ

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٦٨). قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث مرة والسدي، تفرد به الحكم بن ظهير. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٦): فيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٧٥) من طريق عبد الرحمن بن سابط عن معاذ. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣١٦): رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٦): ابن سابط لم يدرك معاذاً، قلتُ (القائل الهيثمي): الذي سقط بينهما عمرو بن ميمون الأودي، كما رواه الحاكم في «المستدرك» في أواخر كتاب الإيمان، وفي طريقه مسلم بن خالد الزنجي، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد رواتُه مكِّيون، ومسلم بن خالد الزنجي إمام أهل مكة ومفتيهم، إلا أن الشيخين قد نسباه إلى أن الحديث ليس من صنعته، والله أعلم. قلت: هو كما قال في «المستدرك» (٢٨١).

لأهـل الجنـةِ: خلـودٌ ولا مـوتَ، ولأهل النارِ: يـا أهلَ النـارِ! خلودٌ ولا مـوتَ»(١).

وروى الشيخان البخاريُّ ومسلمٌ عن ابن عمرَ رضي اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يدخُلُ أهل الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، ثم يقومُ مؤذِّنٌ بينَهم: يا أهلَ النارِ! لا موتَ، ويا أهلَ الجنةِ! لا موتَ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيهِ»(٢).

ورَوَى الشَّيخان أيضاً عن ابنِ عمرَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا صارَ أهل الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ جيء بالموتِ حتى يجعَلَ بين الجنةِ والنارِ، ثم يُذبَحُ ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ! لا موتَ، ويا أهلَ النارِ! لا موتَ، فيزدادُ أهل الجنةِ فرحاً إلى فرَحِهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزناً إلى حُزنهم»(٣).

وروى الشَّيخان أيضاً عن أبي سعيدٍ قالَ: قالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «يُجاءُ بالموتِ يـومَ القيامـةِ كأنـه كبشٌ أملَـحُ، فيوقَفُ بين الجنـةِ والنارِ، فيقـالُ: يا أهـلَ الجنةِ، هل تعرِفـونَ هـذا؟ فيشـرئبُّون وينظُـرونَ ويقولُـون: نعـم، هذا المـوتُ، ويقـالُ: يا أهلَ النـارِ، هـل تعرِفونَ هـذا؟ فيشـرئبُّونَ وينظُـرونَ ويقولُونَ: نعـم هذا المـوتُ، فيؤمَرُ بـهِ فيُذبَـحُ، ثـم يقالُ: يـا أهلَ الجنـةِ خلودٌ ولا مـوتَ فيها، ويـا أهلَ النـارِ خلودٌ ولا مـوتَ فيها»، ثـم قـرأ رسـولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشـارَ بيدِه إلـى الدُّنيا(٤).

وفي لفظٍ للبخاريِّ: «﴿..وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، وهؤلاءِ في غفلةِ أهلِ الدُّنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» أخرجَه في (التفسيرِ)(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠/ ٤٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠/ ٤٣).

(٤) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٥) هي رواية البخاري السابقة ليس فيه غيرها، وهي في (كتاب التفسير).

قولُه: (فيَشرئبُّون) بفتحِ أولِهِ وسكُون المعجَمةِ وفتحِ الراءِ بعدَها تحتيَّةٌ مهموزةٌ، ثم موحَّدةٌ مشددةٌ؛ أي: يمدُّونَ أعناقهم، ويرفعونَ رؤوسهم للنظرِ.

وروى الحاكِمُ وصححهُ وابنُ ماجَه عن أبي هُريرَةَ رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَى بالموتِ في هيئةِ كبشٍ أملَحَ، فيوقَفُ على الصراطِ، فيقالُ: يا أهلَ الجنةِ، فيطَّلعون خائفينَ وجِلينَ مخافةَ أن يُخرجُوا مما هم فيهِ، فيقالُ: هل تعرفونَ هذا؟ فيقولون: نعم؛ هذا الموتُ، فيقالُ: يا أهلَ النارِ، فيطَّلعون مستبشِرينَ فرِحين أن يُخرَجوا مما هم فيهِ، فيقالُ: أتعرِفُون هذا؟ فيقولونَ: نعم هذا الموتُ، فيؤمَرُ به فيُذبَحُ على الصراطِ، فيقالُ للفريقَين: خلودٌ فيما تجِدُون لا موتَ فيها أبداً»[1].

وروى أبو يعلَى والبزَّارُ والطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يؤتَى بالموتِ يومَ القيامةِ كأنه كبشٌ أملَحُ، فيوقَفُ بين الجنةِ والنارِ، ثم ينادِي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ، فيقولُون: لبيكَ ربَّنا، فيُقالُ: هل تعرِفونَ هذا؟ فيقولونَ: نعم؛ هذا الموتُ، فيُذبَحُ كما تذبَحُ الشاةُ، فيأمَنُ هؤلاءِ وينقطِعُ رجاءُ هؤلاء»[2].

فثَبتَ بما قرَّرناه من الآياتِ الصَّريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ أنَّ كلًّا من أهلِ الدارَين خالدٌ[3] أبداً فيما هو[4] فيهِ من نعيمٍ أو عذابٍ، وعلى هذا إجماعُ أهل السنَّةِ والجماعةِ.

وأَجْمعوا على أنَّ عذابَ الكفارِ لا ينقَطِعُ كما أن نعيمَ أهل الجنةِ لا ينقطِعُ، يدلُّ على ذلكَ الكتابُ والسنَّةُ وإجماعُ الأمةِ، واللهُ سبحانه وتعالى أعلَمُ.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٨)، وصححه على شرط مسلم.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٨٩٨)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣١٧): رواه أبو يعلى ـ واللفظ له ـ والطبراني والبزار، وأسانيدهم صحاح.

(٣) في (ج): «خالدين».

(٤) في (ج): «هم».

فائدةٌ: ذكرَ بعضُهم أن الذي يتولَّى ذبحَ الموتِ جبريلُ عليه السلامُ.

وقيلَ: يحيى بنُ زكريا عليهما السلام.

تنبيهٌ: ذهبَ جمعٌ كثيرٌ إلى أن الموتَ معنًى وعرَضٌ، والأعراضُ لا تنقلِبُ أجساماً، بل قالَ بعضُهم: إن الموتَ عدمٌ محضٌ، وبه قالَ الزمخشرِيُّ[1]، وأجابوا عن قولِه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ بأن معنى الخلقِ في هذه الآيةِ: التقديرُ.

فإنْ قلتَ: فعلى هذا كيفَ يأتي الموتُ في صورةِ كبشٍ فيُذبَحَ؟

قلنا: نقلَ الحكيمُ الترمذيُّ أن مذهبَ السلفِ في هذا الحديثِ الوقوفُ عن الخوضِ في معناهُ، فنؤمِنُ بهِ ونكِلُ علمَهُ إلى اللهِ تعالى.

وأجابَ بعضُ العلماءِ فقالَ: لعلَّ هذا الكبشَ صورَةُ ملَكٍ من الملائكةِ الذين يقبِضُون أرواحَ الخلائقِ، وإلا فالموتُ في نفسِه عدمٌ محضٌ راجعٌ إلى سلبِ الحياةِ، أو هو استعارةٌ وكنايةٌ عن الخلودِ الدائمِ، فضرِبَ المثلُ بالموتِ ولا موتَ هناك حقيقةً.

وذهبَ جماعةٌ إلى أن الموتَ جسمٌ لا عرَضٌ، وأنه مخلوقٌ في صورةِ كبشٍ، والحياةَ في صورةِ فرسٍ، قالَ الأشعريُّ: الموتُ أمرٌ وجوديٌّ؛ لقولِه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] والعدمُ لا يخلَقُ.

قالَ بعضُهم: وعلى قولِه: فهل هوَ جوهرٌ أو عرضٌ؟ تردَّدَ بعضُهم، انتهى.

والظاهرُ أنه جسمٌ؛ لحديثِ الصحيحَين السابقِ: «فيُذبَحُ» فزادَ أبو يَعلى وغيرُه: «كما تُذبَح الشاةُ»[2] والعرَضُ لا يُذبَحُ، وعلى هذا المذهبِ فلا إشكالَ في الحديثِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٧٥).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٨٩٨).

خاتمةٌ

قالَ النسَفِيُّ في «بحرِ الكلامِ»: سأَلَ قومٌ: هل يعلَمُ اللهُ عددَ أنفاسِ أهلِ الجنةِ والنارِ أم لا؟ فإن قُلتم: لا؛ فقد وصفتُم اللهَ بالجهلِ، وإن قلتُم: نعم؛ لزِمَ أن أهلَ الجنةِ والنارِ يفنَون.

قالَ: والجوابُ أن نقولَ: إن اللهَ يعلَمُ أن أنفاسَ أهلِ الجنةِ والنارِ ليست بمعدودةٍ ولا تنقَطِعُ[1].

فإن قيلَ: إذا قلتُم بأنهم لا يفنَون فقد سوَّيتم بينهُم وبينَ اللهِ.

قلنا: لا[2]؛ لأن اللهَ تعالى قديمٌ بلا ابتداءٍ، آخرٌ بلا انتهاءٍ، وأهلُ الجنةِ محدَثُون، وإنما يبقَون ولا يفنَون بإبقاءِ الله إياهُم، واللهُ تعالى باقٍ لا بإبقاءِ أحدٍ، فلا يكونُ تسويةً بين الخالقِ والمخلوقِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلَمُ.

وأصلِّي وأسلِّمُ على رسولِ اللهِ ﷺ، وعلى سائرِ إخوانِه من النبيينَ، وعلى آلِ كلٍّ وصحبِهِ أجمعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قالَ مؤلِّفُه العبدُ الفقيرُ إلى الله مرعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ: فرغتُ من جمعِ هذه الفوائدِ العجيبةِ، ونظمِ هذا الفرائدِ الغريبةِ نهارَ الثلاثاء سادسَ شهرِ ذي الحجةِ الحرامِ بالجامع الأزهرِ سنةَ ألفٍ وثلاثٍ وعشرينَ، واللهُ سبحانه الموفِّقُ والمعينُ، وأسأله الوفاةَ على الإسلامِ والخلودَ في دارِ السلامِ بجوارِ أنبيائه عليهم الصلاةُ والسلامُ، آمينَ آمينَ آمينَ[3].

---

(١) انظر: «بحر الكلام» (ص٢٢٤).

(٢) «لا» من (ظ).

(٣) من قوله: «وأصلي وأسلمُ على رسولِ الله ﷺ وعلى سائرِ إخوانِه من النبيينَ...» إلى هنا من (ج). ووقع بدلاً منه في (ظ): «وعلى رسوله ﷺ، وعلى سائرِ إخوانه من النبيينَ والمرسلِينَ، وعلى الكلِّ وصحبِه أجمَعين». وفي هامشها: (بلغ مقابلة).